من "أوراق" الرئيس السادات

خفايا اليوم الكبير فى ثورة مايو

رغم الأعباء الهائلة التى يحملها الرئيس أنور السادات، فإنه ككاتب قديم، يحلو له أن يمسك قلما وورقا ويخط سطورا تعليقا على الأحداث التى يشارك فى صنعها أو ينفرد بالنهوض بها..

وهو، ككل المؤرخين يرى أن ثورة مايو لم تلق العناية والدراسة المتأنية. فما يزال فيها الكثير الذى لم يقله.. إما لأنه لا يريد ذلك الآن، وإما لأن بعضه سوف ينكشف مع مرور الوقت..

والذى يراه فى ثورة ٢٣ مايو، يحق ان يقال ايضا عن حرب أكتوبر.. فقد صدرت عشرات الكتب فى إسرائيل وفى غيرها. ولكن نصيب هذا الزلزال أو الطوفان العسكرى والسياسى، من الأقلام المصرية والعربية ما يزال قليلا. ولكن الرئيس السادات يجرى قلمه فى تحليل الأحداث.. وتسجيلها أيضا.

وقد قلبنا فى «أوراق» الرئيس السادات عن خفايا ثورة مايو.. فوجدنا ملاحظات لها توقيتات متتابعة.. باليوم والساعة والدقيقة.. ونصف الدقيقة.. والشىء العجيب أنه كان يتابع الأحداث كأنه يتفرج عليها من بعيد عنه، مع أنه هو الذى يدفعها وينتظرها ويتأملها بأعصاب هادئة ونظرة واثقة، وبتوفيق من الله..

ومن اللفتات الجميلة فى «أوراق» الرئيس السادات تساؤله: كيف أخترت معاونى؟

أى كيف اختار رجاله. فمثلا يتحدث عن سر اختياره لممدوح سالم. يقول الرئيس السادات: لقد وجدت فيه صدقا وإخلاصا وشجاعة.. ووجدت عنده شيئا هاما: عنده حس سياسى.. وهذا الحس السياسى لا يجىء من القراءة وحدها ولا من الشهادات الجامعية، فما أكثر الذين يحملون المؤهلات العالية.. ولكنهم يجردون من هذا الموهل الفطرى: الحس السياسى..

وكيف اختار إسماعيل فهمى ايضا: إن لا ختياره قصة.. فقد طلب منه رأياًفى قضية هو وأثنين آخرين.. ولم يعجبه الآخران.. فقد وضع كل منهما احتمالات للحل. ولكن أحدا لم يجد الشجاعة فى أن يكون له رأى قاطع أو حاسم.. أيا كان هذا الرأى..

أما اسماعيل فهمى فقد عرض الموقف. وحلله. وفى نفس الوقت أثبت وجهة نظره. وكانت قاطعة. وكانت فى نفس الوقت تختلف عن وجهة نظر الرئيس السادات.. أو عن الاتجاه العام الذى يعرفه الناس.. ورغم هذا الموقف أو بسبب هذا الموقف، فقد رأى فيه الرئيس السادات صورة لما يجب فى معاونيه: أن يقول كل واحد رأيه بوضوح. ولذلك يقول عنه الرئيس

السادات « ومن المؤكد أنه صادق وأنه مخلص . ويجب أن يكون له رأى ، وأن يبديه فى شجاعة ! »

وله آراء فى رجال آخرين . .

ونحن نستأذن القارىء العزيز فى تأجيل « أوراق » الرئيس السادات عن المسألة الليبية الى الأسبوع القادم . . وإن كانت المسألة الليبية لم تبعد كثيرا عن هذه الأوراق . . فقد اتخذتها مراكز القوى فرصة للصراع العلنى المفتوح المفضوح مع الرئيس السادات . .

ولكن الرئيس السادات بالعقل والصبر ووضوح الرؤية وحاسته السادسة وحسه السياسى ، استطاع أن يعطى لكل شىء ولكل أعضاء مراكز قوى الحقد ، وزنهم وحجمهم الطبيعى فى تاريخ مصر ، أو فى تاريخ الخروج على مصر . .

هناك

مثل يقول : إن الطريق الطويل يبدأ بخطوة قصيرة .

وهو مثل صحيح . ويسطبق هذا المثل على السلوك العام لأى شخص . وأى شعب . .

وينطبق أكثر على الثورات . . التى هى خطة شاملة لتغيير عام فى الحياة والسلوك العام للشعوب . .

فهل يمكن أن يقال إن ثورة مايو قد بدأت بسطر ونصف سطر نشر فى الصفحة الأولى من كل الصحف المصرية . وهذا السطر ونصف السطر هو : اقالة على صبرى من جميع مناصبه ؟

■ ■ أنا أرى أن هذا تبسيط شديد . وفى نفس الوقت أرى أنه لا يعطى لما حدث وزنه الحقيق ، بل يعطى لعلى صبرى وزنا أكبر وقيمة لا يستحقها وفى نفس الوقت يخصم من حساب الشعب المصرى الكثير من رصيده التاريخى العظيم . .

ومن المؤكد أن ثورة يوليو ٥٢ هى الثورة الأم . وأنا شريك فى نيامها وسئول مع جمال عبد الناصر عن كل ما فيها من حسنات وسيئات . وقد أعلنت هذا كثيرا . ولكن من العدل أن أذكره . إحقاقا للحق . وتأكيدا لهذا المعنى عند الأجيال الجديدة وعند الذين يهتمون بدراسة التاريخ . .

وثورة يوليو هذه لها ثورة أم . . فاذا نحن استعرضنا ثورات القرن العشرين أى الحسين عاما التى سبقت ثورتنا ، فاننا نجد ثورتين : الثورة الشيوعية . . وثورة كمال أتاتورك . .

وأعتقد أننا تأثرنا بثورة كمال أتاتورك . فهو زعيم تركى مسلم . وعلاقتنا بتركيا قديمة . ثم لأنه مسلم فقد استهوى العالم الاسلامى كله . الذى تطلع منذ وقت طويل لأن يرى زعيما إسلاميا يهز العالم الاسلامى ويوقظه من نومه الطويل . ويدفعه من القرون الوسطى إلى العصور الحديثة . ومن الشرق القديم إلى الغرب الحديث

وقد كان مصطفى كمال - الذى أطلق على نفسه لقب أتاتورك أى أبى الاتراك - بطلا عظيما . ورأى فيه المسلمون ذلك الأمل المنشود . وإن لم يكن مصطفى كمال متمسكا بمبادئ الدين الاسلامى . ولكنه استطاع أن يطرد الغزاة . وأن يوحد شعبه المزق وأن يكرهه على النهوض . وأن يرغمه على التقدم وأن ينقله . وأحلام العالم العربى والاسلامى أيضا . إلى أوروبا الحديثة . .

وقد أحدث كمال أتاتورك تغييرات جذرية فى السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية .

وكان الاعجاب به قد سبق وعبنا السياسى . . فقد كبرت على الاستماع إلى بطولات مصطفى كمال . . فعندما جئنا إلى القاهرة وجدت صورة مصطفى كمال فى بيتنا . . فى مواجهة الذى يدخل البيت . . وكان يرتدى ملابسه العسكرية ويضع على رأسه ذلك الغطاء الذى يسمونه القلبك

ومعنى هذه الصورة أن والدى معجب بهذا الرجل . ولابد أن اختياره لأعمالنا أنا واخوتى له علاقة بذلك . فأعجازنا : أنور وطلعت وعصمت

وفى مصر وفى العالم العربى أحيا ، تركية كثيرة لهذه العلاقة التاريخية الذيمة بالأتراك . وبسبب كمال أتاتورك . .

وهذه الثورة الكمالية هى الثورة الأم لنا . ما فى ذلك شك . .

ونرى أيضا أنها الثورة الأم للفاشية الايطالية بزعامة موسوليني . وكان من المنطق أن يتأثر موسوليني كرجل أوروبى بالثورة الشيوعية فى روسيا التى اعتمدت على فلسفة كارل ماركس الألمانى - أى الأوروبى . ولكن ما كتبه موسوليني يؤكد أنه يختلف عن الثورة الشيوعية اختلافا جذريا . فهو يمجد الثورة القائمة على العقل . وليست القائمة على الفول . وهو يرى أن الثورة الشيوعية هى ثورة قائمة على « النظريات » . تعيش بها وتنتشر بسببها . ثم نعتقل اتباعها فى قوالب نظرية . فالنظرية أولا والإنسان ثانيا أو ثالثا . .

وفى سنة ١٩٢٤ تقدم موسوليني هذا برسالة دكتوراه إلى جامعة بولونيا موضوعها (تعليق سنة ١٩٢٤ على كتاب الأمير لماكيافيللى) . . وماكيافيللى هذا هو فيلسوف سياسى ايطالى . . أو هو أول سياسى له تفكير علمى فى التاريخ ومن الطبيعى أن يحس له موسوليني ولكن حماس موسوليني لمواطنه ماكيافيللى سببه أنه رجل على ثرائه عظيمة بطبائع البشر . . وهو رجل سياسى وليست عنده الشجاعة أن يصارح بذلك . لماذا . . لأن السياسى يطلب جبان حتى تكون فى يديه القوة . . لأن الفكر السياسى بلا قوة ، يعتبر نوعا من الشعر ، فاذا أصبحت للشاعر قوة أو للفيلسوف قوة فهو رجل السياسة . . وهو الزعيم . . ولذلك رأى موسوليني : أن الثورة عمل ، وليست قولا . . وأن الثورة هى التغيير وليست النظير . .

وأعتقد أن مصطفى كمال ذا النزعة الأوروبية ، هو الرجل الذى استهوى موسوليني أيضا .

والنازية . فلسفة هتلر . قد تأثرت بالفاشية . .

وتأثرت بالجانب الألمانى من الفاشية .

فموسوليني قد أعجب جدا بفلسفة القوة عند الفيلسوف الألمانى نيتشه . وموسوليني له دراسات مطولة عن فلسفة القوة . ومن كل ما كتبه نيتشه هذا أعجب موسوليني بعبارة تقول : الشعوب أطفال يجب أن تكرهها الأمهات على تناول الدواء . والشعوب لا تعرف مصالحها . وانما يعرف ذلك رجال العمل . . رجال الثورة .

ولذلك تأثر هتلر بموسوليني . وكلاهما تأثر بمصطفى كمال . .

أما الثورة الصينية فلا شك أنها تأثرت بالثورة الشيوعية الروسية . .

وكان اشتغالى بالسياسة مبكرا . . ولو اننى أمضيت سنوات خدمتى فى الجيش لوجدتها خمس سنوات ونصف سنة ، بينما حياتى السياسية قد بلغت خمسة أمثال ذلك . .

■ ■ وهذا يفسر أشياء كثيرة فى سلوكى السياسى .

ومذهبى الثورى بعد ذلك . . وليس من قبيل الصدفة أن أجد بين يدى كتابا اسمه « الذئب الأغبر » - أى مصطفى كمال ومن تأليف أرمسترونج . وقد بقى هذا الكتاب فى يدى طويلا . . وبقى فى خيالى أطول . وعلى كثرة ما قرأت فى السياسة شرقا وغربا فان مثل هذا الكتاب بأسلوبه ومعانيه وقدرة مؤلفه على النفاذ إلى أعمق أعماق مصطفى كمال . لا يغيب عن خيالى . . هل هو الاعجاب بمصطفى كمال بالذات ؟ هل هو الاعجاب بالبطولة ؟ هل هو الأمل فى أن يكون عندنا مثل هذه القدرة أو الموهبة العظيمة ؟

هل أملى فى أن أكون شيئا من ذلك ؟

لا أعرف . . ربما كل ذلك أو بعض ذلك . ولكن فى ذلك

الوقت كنت مغرما بهذا الرجل ولست إلا واحدا من بين ملايين.. وأنا كنت واحدا من الذين تنبهت فيهم الحساسية السياسية فى سن مبكرة.. فكان اشتراكى بالعمل السياسى واصطدامى بالسلطة ودخولى السجن وشر قصتى فى كل الصحف عند اعتقالى وعند محاكمتى وعند الافراج عنى..

ويوم قامت ثورة يوليو كنت الوحيد الذى يعرفه الناس. وقد سبب لى ذلك بعض المشاكل. وأقول بعض المشاكل. ولكنى ربما بعد سوف أقول: بعض المتاعب. وأحمد الله أنها سيئت لى ذلك. فقد كانت صدمة عنيفة أفقت بعدها على فهم جديد لثورتنا.. واهتديت بعد ذلك إلى سلوك خاص..

ومثل هذه الصدمات هى التى تجعل الانسان يرى الذنب أوضح.. أو يرى نفسه أوضح. هذه الصدمة مثل البرق الذى يسبق الرعد الذى يسبق المطر. فالرعد يكشف الأرض والسماء فى لحظة واحدة..

وفى هذه اللحظات البارقة يكتشف الانسان ذاته. وأعظم ما يكتشفه الانسان فى حياته: ان يكتشف ذاته. ان يعرف من هو؟

قليلون جدا عرفوا ذلك. لأنه من الممكن أن يعيش الانسان بالطول والعرض. ولكن لا تتاح له فرصة يجلس فيها إلى نفسه..

وفجأة تبرق الدنيا فإذا هو يرى نفسه ويعرف: من أنا؟ ومن هؤلاء الذين حولى؟ ما الذى أستطيع وما الذى يريدون؟ أين الصديق وأين العدو؟ وأهم من ذلك: أين الطريق.. اسلم الطرق.. أصح الطرق؟ ثم على أى شئ يختلف الناس حولى؟ ما الذى يريدون وما الذى أريد؟

فى لحظات قليلة يهتدى الانسان إلى نفسه.. وقد تضيع هذه اللحظة التى لا يمكن تعويضها. ومن هنا كان توفيق الله عظيما، عندما انكشفت لى نفسى وعندما هدانى الله لأن أعرف بالضبط ما الذى أساوم وما الذى يساومنى عليه.. ما الذى أريد وما الذى أقدر عليه..

فى مناسبتين اثنتين يستطيع الانسان ان يعرف نفسه:

- عندما يكون وحده فى السجن.
- وعندما يكون الانسان فى الحرب..

ففى السجن ليس معى إلا نفسى.. والعالم كله ابتعد.. والناس والحلفاء والشفاق والزحام والتشارب بالأكتاف. كل ذلك بعيد عنى.. وراء الجدران السميكة والأبواب الحمراء.. الدنيا كلها هناك. ولم يبق لى من الدنيا كلها إلا: هذه الغرفة المظلمة. إلا هذه الزنزانة رقم ٥٤.. وإلا أنا.. وفى هذه الوحدة، فى هذه العزلة، أجد نفسى.. وأحاسبها.. وأستريح إلى تصفية الحساب اليومى.. وانهى كل ليلة حسابى بهذه العبارة: من أجل مصر فعلت كل شئ. وأنا مستريح الضمير تماما

هل أنا نادم على فعلتى. ابدا. لست نادما. ولو عادت بى الأيام، ما فعلت غير الذى فعلت..

وفى الحرب: كل شئ فى الحرب يهون.

الموت يهون. الطعام. الأسرة. لذة النوم. فنحن جميعا أمام معركة واحدة وقد نذرنا أنفسنا لله وللوطن.. وفى أية لحظة يمكن ان تنطلق رصاصة لتصيب واحدا دون واحد. فالموت قريب إذا شاء الله. يبعد إذا أراد الله.. ولا قلق نفس نفس شيئا.. وفى هذا التجرد الشامل. وفى هذه الصلاة الصامتة، تحت السماء، وتحت النار وعلى الرمل.. هنا يجد الانسان نفسه. فاذا وجدها فليتمسك بها.. فليس يجدث كثيرا أن يجد الإنسان نفسه.

وأحمد الله أننى وجدت نفسى، أو بعض نفسى فى مرحلة مبكرة من حياتى..

ثم جاءت بعض الصدمات التى سأرويها بعد قليل، فتفتحت الدنيا أمامى أوسع وأعمق. فرأيت الآخرين، وفى صوتهم وفى ظلالهم ومعهم وبهم وضدهم: عرفت نفسى..

إن ثورة ٥٢ ثورة بكل معانى الكلمة. وكان جمال عبد الناصر هو ديناميو هذه الثورة.

وفى الوقت الذى كنا جميعاً متفرقين فى الجبهة.. وفى الوقت الذى كان آخرون فى أماكن نائية لكى يتقاضوا أجراً مضاعفاً، كان جمال عبد الناصر يعمل ويتصل ويخطط فى القاهرة. وكان شخصية. وكان تفكيره جباراً..

والثورات كالناس. فهناك أناس يموتون وهم أطفال وهناك أناس يشيبون ثم يموتون. وهناك أناس مثل ثورتنا هذه، يشيبون قبل الأوان. وقد شابت ثورتنا، وبلغت شيخوختها فى الستينات.. أو فى نكسة ٦٧..

■■ وجمال عبد الناصر هو أول من تنبه إلى أنه لابد من قيام ثورة أخرى على الثورة. كتب ذلك بخط يده. وهى حادثة معروفة.. ومن مظاهر شيخوختها: الانحرافات والتسيب والنكسة..

وقد أشرت إلى ذلك فى «ورقة أكتوبر»...

البحث عن بداية..

أما كيف بدأت ثورة ١٥ مايو؟ فالاجابة عن هذا السؤال تجدها فى ثورة يوليو..

وفى تكوينى النفسى والسياسى..

وكما قلت لا يمكن أن نبدأ هذه الثورة بسطر ونصف سطر فى الصحف عن إقالة على صبرى الذى كان على رأس مراكز القوى.. وإنما المسألة أخطر وأكثر جدية من ذلك..

والثورة مثل الانهار الكبيرة، صحيح أن لها منبعاً واحداً.. ولكن منابع الانهار، كمنابع الثورات عبارة عن أمطار غزيرة تنزل على جبال بعيدة.. وهذه الأمطار تتجمع فى نهيرات صغيرة.. ثم تتجمع النهيرات والجداول لتصب فى المجرى الكبير متجهة بكل حيوية وقوة وخصوبة إلى الوادى لتكون فيه حياة جديدة للناس..

هناك من يرى أن بداية الثورة فى نفسى، أو الثورة على شخصى قد بدأت عندما اختارنى جمال عبد الناصر النائب الوحيد لرئيس الجمهورية قبل سفره بلحظات إلى مؤتمر القمة فى الرباط سنة ١٩٦٩. يومها فوجئت بقرار جمال عبد الناصر. فقد قلت له: إننى اكتفى بلقب مستشار. ولكنه أصر. وحلفت اليمين. ونشرت الصحف ذلك. وسافر جمال عبد الناصر..

يومها، قد أثار هذا الاختيار حقد الكثيرين

ربما كانت هذه هى البداية النفسية. لعدد من المواقف المعادية لشخصى والمعادية للبلد كلها بعد ذلك..

والذين يهتمون بالتفسير «السيكولوجى» للتاريخ،

● مصطفى كمال ذلك الذئب الأغبر

سيجدون فى هذا الحدث بداية لخيط جديد من تصارع الأشخاص أو العقول أو بداية لتفجير الحقد بين مراكز القوى وبينى.. أو على الأصح بين حقدهم هم على.. فلم أكن حاقداً على أحد. وأكره الحقد. ولا أزال أرفع شعار الحب بيننا كأفراد عائلة واحدة، وشعار العلم والايمان كدولة. أى حب العلم وحب الله..

وأنا لا أرفع الشعار فقط. وانما أعمل به وأشجع عليه. وأؤكده فى مناسبات كثيرة. لو ذكرتها الآن لأفسدت المعنى النبيل الذى أقصده. لأنها سوف تكون نوعاً من المن. وهذا ما أمقته تماماً..

هل تبدأ ثورة مايو بعد قيام ثورة يوليو مباشرة عندما اجتمعنا بعد نجاح الثورة، وجلسنا ننهى الجمعية التأسيسية لثورتنا، ونختار ـ بمجلس قيادة الثورة. لأننا بعد نجاح الثورة اكتشفنا فجأة أننا القوة المسئولة عن مصير مصر.. فجأة ودون أن نتنبه لذلك. ودون أن تكون لنا تجارب فى الحكم وادارة شئون الدولة.

اجتمعنا مساء ٢٧ يوليو ٥٢، أى بعد رحيل الملك بيوم

◄◄

واحد وأصر جمال عبد الناصر على أن تؤخذ الأصوات على شكل الحكم: هل يكون حكماً ديمقراطياً شعبياً أو دكتاتورياً فردياً؟ وكانا ثمانية.. أما التاسع خالد محيى الدين، فلم يكن حاضراً، فقد كان أعضاء الهيئة التأسيسية قبل قيام الثورة تسعة..

وكان غريباً أن يطالب جمال عبد الناصر بأخذ الأصوات. فهو يعلم مدى تقديرنا له واعزازنا لشخصه واعجابنا به.. فلم يكن هناك أى داع للتصويت على شىء.. فالذى يريده هو ما سوف نقره عليه..

وكان من الطبيعى لثلاثتنا قد تجاوزوا الثلاثين بقليل، ومعجبين بكمال أتاتورك الذى أعجب به مرسولينى وهتلر، ان نختارها دكتاتورية. طبيعى فنحن ثلاثة. ثم إننا حريصون تماماً على أن يتم كل شىء بسرعة. فقد جربنا الأحزاب والبرلمانات والجلسات والخطب والبيانات. جربنا صناعة الكلام الذى غرقت فيه مصر.. اذن لابد من أسلوب جديد.

هو: العمل، والعمل السريع، والقرار الواحد.. لقد حقق هتلر فى ست سنوات ما لم تستطع ألمانيا فى عشرات السنين.. وكذلك فعل مصطفى كمال..

إذن يجب أن يكون الحكم دكتاتورياً فردياً سريعاً..

وقلت: لا داعى لأخذ الأصوات.. فالموقف لا يحتاج إلى شىء من ذلك..

صدمة حياتى كلها!

وبكل حسن نية وبساطة وحب عميق لجمال عبد الناصر، حاولت أن أتفادى التصويت وأخذ الآراء. فلخصت ما قاله كل أعضاء مجلس قيادة الثورة.. لكى أنتهى الى نتيجة واحدة هى: لا داعى لأخذ الأصوات. فنحن نعرف ماذا تريد.. وفى نفس الوقت وجدناها فرصة لتأييد جمال عبد الناصر، وتأكيد زعامته.

وجمال عبد الناصر هو صديق عمر لعبد الحكيم عامر.. بل هو صديقه الأوحد.. وهو أيضاً صديقى. فالذى بينه وبينى احترام ومحبة وتقدير.. وفى نفس الوقت كنت حريصاً على ألا أدخل فى صراع معه أو مع أى أحد. منذ ذلك اليوم..

■■ وفجأة.. وأقولها مرة أخرى: وفجأة وجدت جمال عبد الناصر فى حالة غضب. وسخط ومرارة لم أرها من قبل.. وفجأة وجدته يقول: يا أخى أنت تتكلم كما لو كنت رئيساً لمجلس الثورة!

هذه هى الصدمة الأولى فى حياتى..

صدمتى جمال عبد الناصر. فقد كنت حسن النية. ولم يشبه. وكنت أريد أن أجنبه أن يكون «موضوعاً» للمناقشة أو يكون رأيه «موضوعاً» للخلاف والتصويت.. فقد أردت أن أنبته.. أى أن أجعله حقيقة ثابتة.. ولكنه لم يفهم..

حتا لمست فى رأسى معان كثيرة. وعرفت بالضبط من أنا من هو. ومن هم. وحدث الله ان كان هذا الاكتشاف قد تأخر اكتشافه مبكراً..

واخذت الأصوات الحرية فكانت سبعة أصوات: دكتاتورية.. وكان هو صاحب الصوت الوحيد الذى يطالب بالديمقراطية..

ودارت مناقشات بعد ذلك.. لا تختلف عن التى أثرتها قبل التصويت.. ومعناها: اننا يجب أن نكون دكتاتوريين.. وانه ما كان ينبغى أن نختار الديمقراطية.. فهو يعلم جيدا ما الذى حدث فى مصر.

وغضب جمال عبد الناصر لأننا اختلفنا عنه.. أو للمناقشات التى دارت. وتركنا. وارسلنا من يصلحه. ويقول له: افعل ما تشاء، لا داعى لان تنفض!

■■ وهناك صدمة ثانية أعنف قد وضعت قدمى على الطريق الصحيح، وبتهى العنف. وليس من المناسب أن أذكرها الآن..

هذه الصدمة من الممكن أن تكون بداية للخيوط التى يتكون منها نسيجى النفسى.. باعتبارى شريكا فى ثورة يوليو الى جانب مسئوليتى عن ثورة مايو..

وقد لاحظ بعض المؤرخين الأوروبيين المعاصرين أننى لم أشارك فى الحكم، بينما اشترك كل زملائى فى الوزارة. وذهبوا فى تفسير ذلك الى بعيد جدا.

فمنذ ٥٦ حتى ٦٩ لم اشترك فى السلطة التنفيذية. ولا شأن لى بالوزارة. بل إننى عملت فى مجلس الأمة وكيلا بينما كان الرئيس عبد اللطيف بغدادى. وقد تساءل كثيرون كيف قبلت ذلك..

والحقيقة أن جمال عبد الناصر طلب منى ذلك وقال ان المصلحة تقتضى الكثير. فوافقت.. ولم أجد ضيقا ولا مرارة فى أن أكون مرءوسا لزميل فى مجلس قيادة الثورة. ثم عملت رئيسا لمجلس الأمة مرتين: برلمان الوحدة مع سوريا، وبرلمان ٦٤.

وقد اتفقت مع جمال عبد الناصر على أن اعتزل الحياة السياسية بعد ذلك. فأقيم فى قرية ميت أبو الكوم. واقترحت على جمال عبد الناصر أن يزورنى فى نهاية كل أسبوع. لعله يستريح بعض الوقت، ولعلنا نتحدث فى شئون مصر.. بعيدا عن الضوضاء، وعن الزحام.. وعن الحساسية التى بدأت منذ سنوات عندما أحس الكثيرون اننى عند بدء الثورة كنت معروفا شعبيا قبلهم جميعا..

وهنا تحضرنى عبارة للحكيم الصينى كونفوشيوس تقول: احترس من الشهرة فى شبابك، والمزاحمة فى رجولتك، والجشع فى شيخوختك..

هذه الحكمة مكتوبة فى كراستى التى احتفظت بها وخرجت بها من السجن..

ففى رجولتنا كثير من الزحام. والزحام يجعلك تضرب الناس وتدوس عليهم. والزحام يخلق المنافسة والمنافسة هى أخت الكراهية. والكراهية هى أم الحقد.. والحقد هو الأب الحقيقى لكل الحروب بين الناس وبين الشعوب..

وعندما اكتشفت ذلك، أو عرفت الكثير من جوانب نفسى.. تراجعت الى الوراء، لكى أرى الصورة أمامى أوضح.. أو تراجعت، كما نفعل فى الريف، عندما يحاول الانسان أن يقفز من فوق قناة.. يتراجع لكى يقفز أوسع وأرفع..

خطوة خطوتين الى الوراء.. ثم تسلقت سلما ورحت أتأمل الناس من فوق ومن بعيد: ماهذا الزحام.. بل ماهذه الشهوة على الزحام.. وماهذا الجشع على الأماكن والمناصب والسلطة..

لقد كنت صادقا مع نفسى ومع جمال عبد الناصر، عندما طلبت اليه أن أعتزل فى نهاية ١٩٦٩، وأن أذهب إلى قريتى.. إلى أرضى وأهلى وحياتى العادية.. وأجد نفسى هادئا مستريحا اتفرج دون مشاركة، إلا إذا طلب منى جمال عبد الناصر رأيا أو فكرا أو قرارا.. والله يعلم أننى كنت جادا.

ولكن يبدو أن جمال عبد الناصر لم يفهمنى، أو لم يدرك المعنى الذى أدركته قبل ذلك بسنوات يوم التصويت على شكل الحكم فى مصر.. ويبدو أن الآخرين أيضا لم يفهموا ذلك.. وكعادتى دائما.. فإننى طويت نفسى على ما فى نفسى، وانتظرت.. ولم يكن انتظارى سلبيا، وإنما كان ما يملؤنى هو أن حلم طفولتى قد تحقق بقيام الثورة. وكنت سعيد أكثر بأن على رأسها صديقا أتبادل معه التقدير والصداقة..

●●●

وهناك بعض المؤرخين يرون أن ثورة مايو قد بدأت فى عبد العمال فى أول مايو عندما اضيفت عبارة لجمال عبد الناصر لم تكن فى الخطبة المطبوعة التى قرأتها مراكز القوى قبل أن ألقيها على العمال.. وكانت هذه العبارة مفاجأة لهم، أدت الى صراع عنيف بينهم..

هل هذه العبارة هى بداية ثورة ١٥ مايو؟.. فقد قلت فى العبارة التى كتبتها إن جمال عبد الناصر قال وأنا من وراءه أردد: إن الشعب هو المعلم وهو القائد وهو الخالد أبدا، وإن الشعب هو صاحب هذا البلد، وهو الذى سيخوض مع قواته المسلحة معركة الحياة بكل مسئولياتها. وما تفرضه من تضحيات.

■■ اذن فليس من حق أى فرد أو جماعة مهما كان هذا الفرد أو تلك الجماعة أن تزعم لنفسها قدرة منفصلة عن قدرة هذا الشعب أو أن تدعى لنفسها موقعا تستطيع أن نفرض من خلاله رأيها على جموع الشعب أو أن تنشر شعارات أو مناورات تحاول أن تشكل من خلالها مراكز قوة تفرض منها وصايتها على الشعب بعد أن أسقط هذا الشعب مع جمال عبد الناصر، كل مراكز القوى ليبقى الشعب وحده سيد مصيره..

ربما كانت هذه بداية.. ولكنها ليست الا احدى البدايات.. وانما هناك خيوط وروافد تبدأ منها ثورة مايو..

ويكفى أن أذهب الى أبعد من ذلك بكثير.. ابدأ وعلى مسئوليتى أنا فى التفسير والتقدير الى يوم وفاة جمال عبد الناصر.. والأيام التالية.

جمال عبد الناصر مات يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠. فقد كان ذلك اليوم رهيبا. وقد اهتزت مصر والأمة العربية. وكان الموقف عصيبا.

وكانت الجنازة يوم أول أكتوبر مهيبة.. وقد اعطيت خمس حشن فى مجلس قيادة الثورة حيث بدأت الجنازة عندما سقطت من الاعياء، ولم استطع الاشتراك فى الجنازة، وعندما أفقت سألت ان كان جثمان عبد الناصر قد دفن. فقيل انه دفن. فحمدت الله. فقد كنت أخشى أن يفلت الموقف من

• كان هتلر تلميذا لموسوليني ، وكان موسوليني تلميذا لمصطفى كمال ..

وكان مصطفى كمال هو ذلك البطل الذى اهتز له العالم العربى ...

أيدينا تتدفع موجات الجماهير بنعش جمال عبد الناصر . وقد حدث شيء من ذلك ..

ودفن عبد الناصر يوم الخميس أول أكتوبر سنة ١٩٧٠ .

وقررت دعوة اللجنة التنفيذية العليا يوم السبت ٣ أكتوبر .

وفى يوم الجمعة ٢ أكتوبر جاءنى شعراوى جمعة وسامى شرف ليقولا إن أحد أعضاء اللجنة سوف يثير مشكلة وهذه المشكلة سوف تؤدى الى انقسام . وهذا الانقسام سوف يشغل البلد عن الظروف الصعبة التى تمر بها .

سألت : ما الذى سوف يثيره ؟

قالا : إنه سوف يقول إنه لاداعى للاستعجال فى اختيار رئيس للجمهورية الآن .. وهل المقصود هو أن تختار اللجنة واحدا بالذات ..

كان هذا العضو هو العضو الوحيد الشق من اعضاء مجلس قيادة الثورة ..

■■ وفى تقديرى أنهم هم الذين دفعوه لأن يقول ذلك .. لأنهم لا يستطيعون أن يرشحوا على صبرى .. وفى نفس الوقت لا يستطيعون أن يقولوا انهم لا يريدونى ..

وقد عرفت متأخرا جدا ، أنه رغم الكلام اللطيف الرقيق الذى قاله كوسيجن أثناء جنازة جمال عبد الناصر ، فان السوفيت قد خططوا من اللحظة الأولى أنهم لا يريدونى .

أما تفصيل ذلك فليس الآن موعد إذاعته ..

فى الأيام الأولى بعد وفاة جمال عبد الناصر وقبل تشييعه ، ظن لى أن ابقى رئيسا للجمهورية بالنيابة حتى تنتهى فترة ولاية جمال عبد الناصر فى سنة ١٩٧١ .

كان فى ذلك تكريما منى لجمال عبد الناصر ، وتفاديا لأية مشكلة عاجلة .. وقد كنت حزينا على وفاة جمال عبد الناصر رغم انى قد توقعت هذه النهاية .. ولكن هذا التوقع لم يخفف من هول الحادث ..

فعلى ما يبدو كانت ، وبالذات مراكز القوى رقم ٢ وهى الثلاثى على صبرى وسامى شرف وشعراوى جمعة ، يعرفون من الطبيب الروسى الذى جاء لعلاج جمال عبد الناصر أنه لن يعيش أكثر من عام . وهذا ماحدث فعلا .. وهذا هو الذى دفع مراكز القوى الى الهجوم على جمال عبد الناصر على كل المستويات والدعوة والتمهيد للخلاص منه ..

وقبل تشييع الجنازة تحدثت مع الرئيس هوارى بومدين فى هذه المسألة . فلم يوافقنى بومدين . ورأى فى الانتظار بلبلة . وان اية بلبلة فى مصر سوف تهز العالم العربى كله . فمصر قلب العالم العربى . وهذه البلبلة هى « لغط » لقلب الامة العربية كلها .. ولذلك فانه لايوافقنى على هذا الرأى . بل إنه يصر على التعجيل بالانتخابات العامة على رياسة الجمهورية

وكان هذا الحديث يجرى بينى وبين بومدين فى قصر الفبة قبل تشييع جنازة عبد الناصر . وبعد أن مضى يومان على هذا الحديث ، وقبل تشييع عبد الناصر ، وبعدما رأيته من مناورات خارجية وداخلية ، إلى أن طلبت من شعراوى جمعة باعتباره امينا للتنظيم أن يدعو اللجنة التنفيذية العليا لتسمية من تراه رئيسا للجمهورية يوم السبت ٣ أكتوبر .. أى بعد يومين من تشييع عبد الناصر يوم أول أكتوبر .

وبعد ذلك تنزل السكينة يوم الاثنين ٥ أكتوبر إلى اللجنة المركزية .. وفى يوم الخميس التالى مباشرة يجتمع مجلس الشعب ليعرض عليه اسم رئيس الجمهورية .. أو أية أسماء اخرى ..

وقد أدى هذا القرار إلى ارتباك مراكز القوة ..

أول مراكز القوة هذه هو الصحفى محمد حسنين هيكل . وكان الأول أيام جمال عبد الناصر .. ولكنه أصبح الثانى فى عهدى .

أما مركز القوة الثانى فى ايام جمال عبد الناصر ، والأول فى عهدى ، فهو شعراوى جمعه وسامى شرف وعلى صبرى ..

وكلما تصورت أن هؤلاء ، وهؤلاء ، من مراكز القوة هم الذين يطمعون فى حكم مصر ، أشفقت على مصر العزيزة الغالية .. هل صحيح انها محكوم عليها أن يتحكم فيها الاغوات .. فقد حدث أن مات السلطان أيام الفاطميين فجأة ، فالتقى الاغوات واتفقوا على حكم مصر حكما جماعيا . وكان هذا الحكم الجماعى هو اعظم اهانة وجهت الى مصر فى كل العصور .. وسوف تكون هذه الاهانة الثانية ، لو حكمها هؤلاء التافهون ، أو الذين وصفهم ممدوح سالم يوم طلبت إليه أن يكون وزيرا للداخلية بأنهم ورق ونش !

وحاول شعراوى جمعه وسامى شرف أن يثنيانى عن انعقاد اللجنة التنفيذية العليا . فرفضت .

فطلب الاثنان منى : ان كان لدى مانع أن يخرج معى فى طريق وفى سيارتى إلى مبنى الاتحاد الاشتراكى ، حيث تعقد اللجنة التنفيذية العليا ، عضو مجلس الثورة السابق الباقى وعلى صبرى اللذان ظلا يقيمان معى فى قصر القبة من ليلة ٢٨ - ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وهى ليلة وفاة جمال عبد الناصر إلى يوم تشييع جنازته الخميس أول أكتوبر .

قلت : لامانع .. .

وفى طريقنا من مصر الجديدة إلى مبنى الاتحاد الاشتراكى سألت عضو مجلس الثورة الباقى ، وقد كان معى فى السيارة هو وعلى صبرى ، عن وجهة نظره هذه ، فأعاد ما سمعته من سامى وشعراوى من أنه لاداعى للاستعجال فى تسمية أو انتخاب رئيس الجمهورية ، فإن هذا الاستعجال يدل على أننا نريد اختيار شخص بالذات .

قلت : لا مانع من أن اسمع رأيك فى اللجنة التنفيذية العليا . وأنا أحب المواجهة . وأن يكون كل شيء واضحا .

وللتاريخ أقول إن ما قاله يومدين كان له أثر عميق فى نفسى . وقد تهيأ إلى أشياء كثيرة ..

وهناك سبب آخر لم يكن فى حسابى فقبل انعقاد اللجنة التنفيذية العليا بيومين جاءنى من القوات المسلحة أننا فى حاجة سريعة الى قائد أعلى يكون مسئولا عن إعطاء الأوامر من أجل متابعة المعركة . فلابد من هذا القائد فورا وبسرعة ..

وأنا باعتبارى نائب رئيس الجمهورية ، لست قائدا . لأن القائد هو رئيس الجمهورية المنتخب .

وفى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا حدث مانوقعته فقد طلب الكلمة العضو الباقى من مجلس قيادة الثورة . وكرر ما سبق أن قاله من أنه لا داعى للاستعجال . فالاستعجال معناه أننا نريد أن نضع شخصا بالذات . ونفرض أن الجماهير رفضته . الا يكون ذلك رفضا لثورة يوليو نفسها وقد يكون هناك تجريح على هذا الشخص ؟!

وطبعا كان يقصدنى .

وطلب د. محمود فوزى الكلمة وقال: ان جنازة جمال عبد الناصر التى كانت أول أمس تؤكد خروج خمسة ملايين من الشعب ليس لجمال عبد الناصر وحده وإنما لثورة يوليو أيضا.. فاذا نحن سمينا شخصا ورفضته الجماهير نهى قد رفضت الشخص ولم نرفض الثورة!

وتكلمت أنا قائلا: أنا جمعتكم هنا فى اللجنة العليا لكى نسموا واحدا حسب النظام الذى نسير عليه ولم أقصد أن نسموني أنا بالذات. وأحب أن أؤكد لكم الآن. أننى لن أترك قيادة مصر. لن أترك قيادة مصر إلا لشخص اختاره الشعب. وإذا فرض أنكم سميتموني ورفضنى الشعب. فعندى من الشجاعة ما يجعلنى أجمعكم هنا مرة أخرى ونسمى شخصا آخر.. إلى أن يوافق الشعب. وكررت أننى لن أترك مكانى إلا لرئيس منتخب من الشعب. فهذه أمانة. وأنا أقدس الأمانة.

ولم يرد أحد على ما قلت.

وهنا رفع عبد المحسن أبو النور يده قائلا: أنا أرشح أنور السادات.. ونسميه رئيسا للجمهورية...

قلت: إن عبد المحسن أبو النور يرشحنى..

فوافقوا على ذلك بالإجماع!

■■ د ليس من الصعب على من يتابع سير هذه الأحداث وسرعة تلاحقها ان يعرف اى نوع من الناس هؤلاء. وكيف يفكرون وكيف يسهل ايقاعهم وتخبطهم. وكيف إنهم ليسوا صفا واحدا ولا قلبا واحدا.. وانهم يتربصون بعضهم ببعض.. وكل واحد منهم يراقب الآخر ويسجل له مكالماته التليفونية.. وتشاء ارادة الله ان تكون هذه التسجيلات سندا لى فى اتخاذ قراراتى الحاسمة بعد ذلك.. لقد أرادوا شيئا، وأراد الله شيئا آخر.. فالحمد لله على ذلك.

ويمكن ان تكون بداية الصراع المكشوف بينى وبينهم بعد يوم الأربعين لوفاة جمال عبد الناصر. واقول من الممكن ان تكون بداية. فان لم تكن البداية الحقيقية نهى تصلح ان تكون احدى البدايات للصراع المفتوح المفضوح بين مركزى القوة الأول والثانى.

بداية الصراع..

لقد صدر مقال فى ذكرى الأربعين لجمال عبد الناصر فى جريدة الأهرام بعنوان «جمال عبد الناصر ليس اسطورة».

وقد اعتبره لبيب شقير - ممثلا لمركز القوة الثانى - عضو اللجنة التنفيذية العليا نوعا من الخيانة العظمى وقد ترافع لبيب شقير بتهمتى الفصاحة والبلاغة. وكان الغرض واضحا امامى ان مركز القوة الثانى: شعراوى جمعة وسامى شرف وعلى صبرى يريدون التخلص من مركز القوة الأول محمد حسنين هيكل. وان هذه هى الفرصة المواتية. وقد اجمعوا آراءهم على ذلك فإذا ما اتخذ قرار ضده فى اللجنة المركزية تكون الأغلبية له وبذلك ينتهى مركز القوة الأول الذى لم يستطيعوا التغلب عليه فى حياة عبد الناصر.

هذا هو الهدف الأول. وهناك هدف أهم من ذلك. أنهم يريدون ان ينتهزوا هذه الفرصة ليؤكدوا لى أنهم مصدر السلطة فى صدور القرارات. لأن لهم الأغلبية. وعلى ذلك فإذا أردت أن أتخذ قرارا فلابد أن أرجع إليهم. أى لا رأى لى ولا قرار. الرأى والقرار لهم وحدهم.. اما أنا - أى رئيس الدولة - فلست الا صوتا ضمن أصوات أخرى..

● شعراوى جمعه

■■ وانتهزتها فرصة لكى أؤكد اسلوبى فى الحكم أو فى التفاهم مع الآخرين: المواجهة.. أى لا بد أن يتواجه هؤلاء جميعا مع ذلك الصحفى الذى ادانوه.. ولابد ان يدافع عن نفسه. اى لا حكم بلا محاكمة. ولا قرار بلا مواجهة. ولا اتهام بلا مبرر. والإنسان برىء إلى أن تثبت إدانته.. وليس مدينا حتى تثبت براءته..

وفتحت باب المناقشة لكى أعرف الحاضرين أكثر.. وأذكر أنى قرأت أن الفيلسوف سقراط هو الذى كان يقول لتلامذته عندما وجد واحدا لا يتكلم فقال: تكلم حتى أراك!

فطلبت اليهم أن يتكلموا لكى أراهم أوضح..

فقد لاحظت ان هناك ترتيبا او اتفاقا بين الجميع.. ولكن لا اعرف مضمون هذا الاتفاق او تفاصيله..

وأجمع الحاضرون على الهجوم على صاحب المقال: المعتدلون هاجموه رأفة، وطلبوا ألا تذاع أسرار هذه الجلسة والمتطرفون أيضا وهذا أمر طبيعى. إلا الدكتور محمود فوزى فقد كان معتدلا..

وكان الغرض أن يتخلص مركز القوة رقم واحد من مركز القوة رقم ٢ بعد أن استمر فى السلطة وفى الحكم الفعلى طويلا.. وانتصر عليهم فى أكثر من معركة أيام عبد الناصر بل إنهم اعدوا محاميا شابا ليكون رئيس تحرير الأهرام. بدلا منه..

■■ أما د. محمود فوزى فقد اتخذ موقفا وسطا وتكلمت أنا فقلت: أحب أن أقول للجنة العليا إننى لا أحكم على أحد قبل مواجهته.. أى لابد أن نواجهه لكى يتمكن من الدفاع عن نفسه.

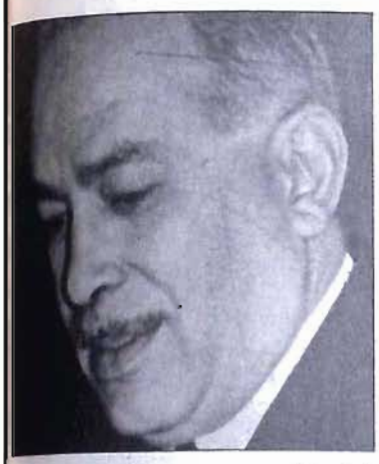

● على صبرى

● سعد زايد

● لبيب شقير

ورفعت الجلسة. وأدى ذلك إلى ارتباك مركز القوة هذا. فلم يكن فى الحساب ألا يتخذ قرار. أو على الأصح ألا يفرضوا قرارهم على..

وفى الجلسة التالية توجهى، أعضاء اللجنة العليا، وأنا أضغط على زر الجرس وأطلب رئيس تحرير الأهرام. فقد أبلغ بضرورة الحضور إلى اللجنة. ولذلك كان موجودا فى مبنى الاتحاد الاشتراكى. وأدخلوه. وجلس على الطرف الآخر من الترابيزة.. كنت على رأسها والأعضاء على الجانبين فجلس فى مواجهتى. وتكلمت وقلت: يا دكتور لبيب شقير أعد ما سبق أن قلته فى الجلسة الماضية عن المقال الذى نشر فى الأهرام.

أما الذى حدث فهو أن لبيب شقير لم يعرف ماذا يقول. راحت الفصاحة والبيان. وقد حاول أول الأمر أن يوجه أسئلته إلى كاتب المقال. فرفضت هذه الصورة وقلت: ليس المطلوب هو أن تناقشه.. وإنما أن تعيد على مسامعه ما قلته للجنة.. أما الأسئلة نسوف تتولى اللجنة العليا توجيهها إليه..

وقال كلاما منككا ولم ترد فيه كلمة «الخيانة»..

وطلبت إلى كاتب المقال أن يدافع عن نفسه.. فأخرج المقال من جيبه وراح يناقش فقراته طويلا. وانتهى بأن قال

● سامى شرف

● محمد فائق ● عبد المحسن ابو النور

إنه كان أقرب واحد إلى جمال عبد الناصر..

وطلبت إليه أن يخرج بعد أن دافع عن نفسه. ونزل إلى مكتب سامى شرف فى الدور الأسفل ليسمع بقية المناقشة وقد كانت الجلسة مسجلة. ولم أفهم كيف سمح له سامى شرف أن يتابع بقية المناقشة.

وقلت لأعضاء اللجنة العليا: لقد سمعنا رأى رئيس التحرير ورأى لبيب شقير أحب أن أسمع آراءكم.

فلم يعلق أحد بشىء..

وكان واضحا أن مركز القوة الأول خسر معركته مع مركز القوة الثانى.

وقد علمت بعد ذلك كيف عنف ضياء داود صديقه لبيب شقير لأنه خسر معركته.

قلت: لقد ناقش الرجل وعلق على اتهامات لبيب شقير.. وأنا أرى أنه ليس من الواجب أن ندفع إلى اتهام أحد بالخيانة دون بينة، أو دون محاكمة.. حتى لا يشكك الشعب فى أراثنا أو فى الوزن الحقيق لهذه الهيئة الرفيعة الشأن..

وليل أن أنهى المناقشة كررت عليهم ما سبق أن قلته: أسلوبى هو المواجهة. أسلوبى هو الصارحة. لا تقارير سرية. لا اتهامات بلا أدلة. لا إدانة بلا محاكمة.

وكانوا فى غاية الغيظ.. لقد تكرر فشلهم مرة بعد مرة.

● محمد فوزى ● ضياء الدين داود

الصراع الثانى

وهناك معركة أخرى مكشوفة خرجنا مراكز القوى. وكانت هذه المعركة صراعاً مفضوحا هزيلاً وكان ذلك بسبب الوحدة مع ليبيا وسوريا والسودان. عرضت الاتفاق الذى تم فى بنغازى على اللجنة التنفيذية العليا. فرفضته بخمسة ضد ٣ أصوات. وظنوا أن هذا قرار نهائى. ولكن قلت لهم إن القرار النهائى للجنة المركزية. ولم يكن هذا فى الحساب أيضاً. وتكرار هذه الأخطاء وروفوعهم فيها، يدل على أنهم لم يتعلموا. وأنهم لن يتعلموا. فهم ليسوا سياسيين؟ فالسياسى هو الذى يضع حسابات. وأهم مبادىء الحساب السياسى أن تكون هناك احتمالات.. أو تكون هناك بدائل.. ولكن الرجل الذى لا يرى إلا طريقاً واحداً لحل مشكلة واحدة هو رجل قصير النظر أو للبل الحيلة. وقد تأكد لى تماماً أنهم جميعاً كذلك..

وطلبت إلى شعراوى جمعة أمين التنظيم بعد هذا القرار، أن تنعقد اللجنة المركزية. وجاءنى المعلومات من الأقاليم تقول إن التعليمات لديهم بأن يعارضوا وأن يرفضوا.

واجتمعنا وبدأ على صبرى الكلام. وكما وعدهم فى التسجيلات، التى سجلوها على أنفسهم بأصواتهم، بأن يكون قليل الأدب فى حديثه معى وسوف تؤدى قلة الأدب وقلة الحياء إلى أن أفقد أعصابى. فإذا فقدتها تكاثروا هم وتغلبوا على الموقف. فأخر هذه المعركة.

وكان من رأى على صبرى أنه سوف يبدأ بإخراجى عن هدوئى، وعليه أن يكملوا الخطة..

وبعد أن تكلم على صبرى فى اللجنة المركزية تبعه ضياء الدين داود فكان أكثر وقاحة. (ضياء داود حر وهو يعمل فى المحاماة آمن على يومه وغده وحياته ورزقه مع معاش استثنائى قرر لمعاناته أثناء سجنه، ويبقى إلى اليوم)..

ولاحظت أن خمسة فقط من أعضاء اللجنة المركزية، وعندهم ٢٢٠. يسحون الأرض بأقدامهم. كما يفعل تلاميذ المدارس عندما يدق جرس نهاية الحصة والمدرس ما يزال ماضياً فى الشرح.. أو كما يفعل جمهور كرة القدم يتمجلون الحكم أن يطلق صفارته وإنهاء المباراة..

هؤلاء الذين يدبدبون بأقدامهم كانوا خمسة من ٢٢٠ عضواً..

انتهت هذه المعركة أيضاً بالتسليم بما أردت. وحاول شعراوى جمعة أن يصلح ما بينى وبين على صبرى. ولكن لم أقبل أن يكون هذا هو الأسلوب فى الخلاف. فأنا أقبل الخلاف فى الرأى، وأرفض الصراع، مثل هذا النوع من الصراع..

■■ وإذا حاولنا أن ننظر إلى هذا الذى جرى فسوف نجد أنها عدة معارك كل واحدة من الممكن أن تكون بداية: معركة بعد دفن جمال عبد الناصر بيوم واحد..

ومعركة ثانية بعد وفاته بأربعين يوماً ومعركة على الوحدة فى أبريل سنة ١٩٧٢.

ومن الممكن أن تكون كلها معركة واحدة على من الذى يستطيع أن يتخذ القرار.. هل هو رئيس الجمهورية أو هو مراكز القوى المتزقة المتطاحنة المتهالكة أيضاً.

وانتهت المعركة بتأكيد فشلهم جميعاً..

فإذا قلت إنها جميعاً معارك واحدة.. أو معركة واحدة متعددة المواقع. فمن المؤكد أن ثورة مايو قد تأكدت قواعدها الثورية التصحيحية ابتداء من شهر مايو نفسه..

وإن كنت أرى أن يوم ١٣ مايو هو اليوم الكبير حقاً بما فيه من قرارات كان لها أعظم الأثر فى نفوس الناس..

أما يوم ١٥ مايو فهو يوم لرجة الشعب صاحب المصلحة الحقة فى تعديل مسار الثورة الأم، والثورة عليها، من أجل المزيد من الأمن والأمان، والحريات والعدل، وقيام المؤسسات الدستورية والدستور الدائم لأول مرة، وانتصارات أكتوبر، وقيام الأحزاب والتطلع بثقة إلى غد مشرق وسلام قائم على العدل فى المنطقة كلها..

أول مايو ١٩٧١

هذا اليوم قد بدأ يوم ٣٠ أبريل. وكان يوماً طويلاً. فقد أعطيت فكرة الخطبة التى سوف ألقيها لمحمد حسنين هيكل، كما كان يفعل جمال عبد الناصر..

وكما يفعل كل رؤساء الدول فى العالم. فكل واحد له كاتب خطبه. وهذا الكاتب معروف. وقد قابلت فوراد ومعه كاتب خطبه. فالحاكم ليس عنده وقت كاف لكى يكتب الخطبة فى أسبوع أو أسبوعين فعنده من المشاكل الكثير. ولذلك فقد جرى العرف الدول، على أن يستعين الحاكم بالخبراء فى السياسة والقانون والاقتصاد والكتابة، يعطيهم أفكاره ويركهم بعد ذلك يصوغون فكره وأسلوبه فى العمل..

وجاءت الكلمة التى سوف ألقيها..

ارسلت الكلمة إلى سامى شرف، وزير الدولة لشئون ■■ رياسة الجمهورية، لكى تكتب على الآلة الكاتبة

بعد أن راجعتها . ومادامت قد أرسلت إليه فقد عرفها وقرأها بقية مراكز القوى ..

وطلبت من محمد حسنين هيكل باعتباره مركز قوة أن يضيف هذه العبارة الخاصة بمقاومة مراكز القوى . فرفض وقال : أنا لا أستطيع . اكتبها سيادتك .

ولذلك فقد ظللت ساهراً حتى الساعة الواحدة من صباح أول مايو سنة ١٩٧١ . أكتب هذه الكلمة ..

وذهبت إلى حلوان ألقى كلمتى . ووجدت أن مركز القوة رقم واحد قد أعد العدة لإفشال الاجتماع . وأنه قد أعد فى مواجهة المقصورة مجموعات تحمل صور عبد الناصر . اعتقادا منهم أن ذلك يضايقنى . ولم يضايقنى ذلك . فعندما ذهبت إلى السودان استقبلونى بصور جمال عبد الناصر . ولم أجد فى ذلك ما يضايقنى وإنما هى تحية لمصر وثورة مصر ..

وفى حلوان أيضا ، وفى هذا الاجتماع رفض مذيع أن يقدمنى لجماهير العمال . هذا المذيع سافر إلى ليبيا ، وطلب أن يعود إلى مصر ، فسمحت له بعودته إلى وطنه مصر .

وفوجىء رجال البروتوكول بمجىء على صبرى . وهم يعلمون ما جرى منه فى اللجنة المركزية ، ولم يعرفوا أين يضعونه ..

وألقيت كلمتى . وصفق الناس طويلاً . ثم قرأت الكلمة التى كتبتها بخط يدى ، ولم يكن مركز القوة يعلم عنها شيئا ، وكانت مفاجأة لمركز القوة الأول لأننى أعلنت أنه لا وصاية لأحد أو لمجموعة من الناس على هذا البلد .

وذهب شعراوى جمعة وسامى شرف مركز القوة الأول إلى محمد حسنين هيكل مركز القوة الثانى الذى يريدون القضاء عليه . وسألاه : كيف كتبت هذه العبارة .

فأعلن : أنه لم يكتب ذلك وإنما الخطبة التى كتبها هى التى أرسلها لهم ..

وهو فعلاً لم يكتب هذه العبارة . وإنما قال لى : اكتبها أنت بيدك . فأنت كاتب وتعرف فى صناعة الكلام ..

ومن المؤكد أنهما لم يصدقاه . وقد أضاف عدم التصديق هذا إليهما مزيداً من الغيظ والتربص تمهيداً للانقضاض عليه . وأنا الذى خلعته مع مراكز القوى الأخرى .

اتصلت بمحمد حسنين هيكل أقول له : يا أخى أرهقتنى . فبدلاً من أن تكتب أنت هذه العبارة جعلتنى ساهراً أكتبها وأعيد كتابتها حتى الصباح ..

ولم أعرف إلا منه بعد ذلك بشهر أن شعراوى جمعة وسامى شرف قد ذهبا إليه معلنين براءته من تهمة كتابة هذه الفقرة .. فقد كانوا يسجلون عليه مكالماته كما كانوا يسجلون على أنا أيضاً .

وقد أخذته وقلت له : يا أخى لماذا لم تخبرنى بأنهما جاءا إليك مساء يوم أول مايو .. لو فعلت لجعلتنى اتخذ قراراً أخر .

قال : لم أكن أعرف أين مركز القوة !

ولكنه كان خائفاً . فعلا فقد أفزعوه فى ذلك اليوم وقالوا له : إن لديهم تسجيلات لكل إنسان فى مصر . وإن لديهم من التسجيلات ما يجعل أى إنسان يحنى رأسه خجلاً ، ويهرب خوفاً .

وبالفعل كان يخاف منهم حتى عندما كانوا فى السجن ..

● محمود رياض

وفى اليوم التالى لخطبة أول مايو ١٩٧١ طلبت سامى شرف فى التليفون وقلت له :

■ يا سامى

- أفندم

■ حضر لى قرارا بإعفاء على صبرى من جميع مناصبه على أن نبلغ به الصحف ، وينشر فى سطر ونصف فقط فى الصفحة الأولى من كل الصحف .

- حاضر يا أفندم

روى لى أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة .. أنه كان ساهراً فى منزل أحد أصدقائه وفى الساعة الثانية عشرة دخل علينا واحد ومعه جريدة الجمهورية وكانت تصدر مبكراً وكان منشوراً فى صفحتها الأولى هذا الخبر .. وكان هذا الخبر مفاجأة لهم ، وظلوا جالسين يعلقون ويفكرون فى الخطوة التالية لى ولمراكز القوى . وقد تولاهم الفزع ..

■■ فقد انخدع الناس فيه . فالناس قد ظنوه قوة كبرى ، وأنه أخطبوط له أطراف ، وهذه الأطراف قد أمسكت مصر كلها من أولها لآخرها .. ولذلك فإن أحداً لا يستطيع أن يزحزحه من مكانه ..

وقد جرت العادة أن الرئيس جمال عبد الناصر ، أو أنا ، عندما نتخذ قراراً فإنه يعلن أولاً . وبعد ذلك يعرض عليه لتوقعه .. إلا فى هذا القرار . فلما اتصلت بسامى شرف أبلغه بنشر هذا القرار .. فقد فوجئت به وقد حمل إلى القرار فى يده وفى منزل لكى أوقعه . فأدهشنى ذلك . ووجدت منه نوعاً من السذاجة والبلاهة .. فقد ظن هؤلاء السذج أن هذا يخيفنى . وأن التوقيع على القرار مستند ضدى .. إنه عبيط ..

ووقعت قرار إعفاء على صبرى من منصبه كنائب رئيس جمهورية ..

ووقعت قراراً آخر بإعفائه من منصبه كمساعد لرئيس الجمهورية لشئون الطيران .. وهو منصب اخترعه له جمال عبد الناصر ..

أما منصبه كعضو فى اللجنة التنفيذية العليا فقد أخرجه منه جمال عبد الناصر بعد فضيحة السجاجيد والشنط التى أتى بها من موسكو .. أما عضويته للجنة المركزية فهذا من شأن اللجنة نفسها ..

وكانت فرحة الشعب عظيمة جداً لإخراج على صبرى . فقد استطاع على صبرى أن يجعل كل مواطن فى مصر يكرهه وينتقه ويحتقره عندما نشر سلسلة يومية من المقالات ملأن قلوب الناس بالحقد بعضهم على بعض ، وملأت قلوبهم أيضاً بالاحتقار له .. فلما سقط ، كان لسقوطه ارتياح عظيم .. وكانت هذه الفرصة أصدق استفتاء شعبى فورى على صحة هذا القرار . وكنت أعلم بحسى السياسى وحاستى السادسة أن على صبرى هذا لا شىء ، لا قوة له ولا قاعدة ..

وجاءت الأيام تؤكد صدق فراستى ..

١١ مايو

لقد تحدد هذا اليوم للقاء المجيوش على جبهة قناة السويس ..

وقابلت القوات وجلست إليها ، وتحدثت ..

نصف الليل ١١ مايو

كنت فى البيت ، جاءنى من يقول لى أن ضابط بوليس يريد مقابلتك فوراً لأمر هام .

لأن لديه معلومات خطيرة ولابد أن أعرفها ..

قبل ذلك وابتداء من إعلان إقالة على صبرى تجىء لى خطابات عليها توقيعات من أصحابها يقولون فيها تعليمات الاتحاد الاشتراكى ضد رئيس الجمهورية . فقد نشط الجهاز الطليعى التابع لشعراوى جمعة ..

وكنت أكتب على هذه الخطابات : ترسل إلى شعراوى أمين التنظيم وإلى عبد المحسن أبو النور أمين الاتحاد الاشتراكى : للتحقيق والإفادة .

والناس حولى فى ذهول من موقفى هذا . والذى لم يعرفه الذين حولى هو أننى حريص على أن يعتقد مركز القوة الذى اصبح الأول وزعيمه شعراوى جمعه اننى لا اعرف وانى حسن النية . وانى ، كما يتصورون ، رجل ساذج غائب عن حقيقة ما يجرى حولى ..

ولم يكن يعرف هؤلاء أيضا اننى أعطيت تعليمات الى مكتبى بأن يتصلوا بكل واحد من أصحاب هذه الخطابات ويقولوا له : لا تخف .. واذا أصابك شىء فأبلغنا !

وكان الغرض من ذلك أن أعرف من الذى سوف يعاقب هؤلاء ، لكى أعرف بداية الخط .. وبداية مراكز القوى- ومدى سرعة الفعل ورد الفعل عندهم .

ولم يحدث أن عاقبوا أحدا . وهذا مالم أكن أتوقعه .. ولكن استنتجت فيما بعد ، انهم ليسوا على هذه الدرجة من التنظيم والتماسك والمتابعة ..

أما ضابط البوليس هذا فيعمل فى جهاز الرقابة فى وزارة الداخلية . وقد جاءنى عن طريق أحد أزواج اخواتى البنات . ومعه شريط مسجل يريدنى أن أسمعه .

وفجأة اكتشفت أنه لا يوجد فى بيتى جهاز تسجيل . فأرسلت إلى بيت أحد أقربائى . وجاء جهاز التسجيل . وضعت

● اشرف مروان والليثي ناصف واحمد اسماعيل

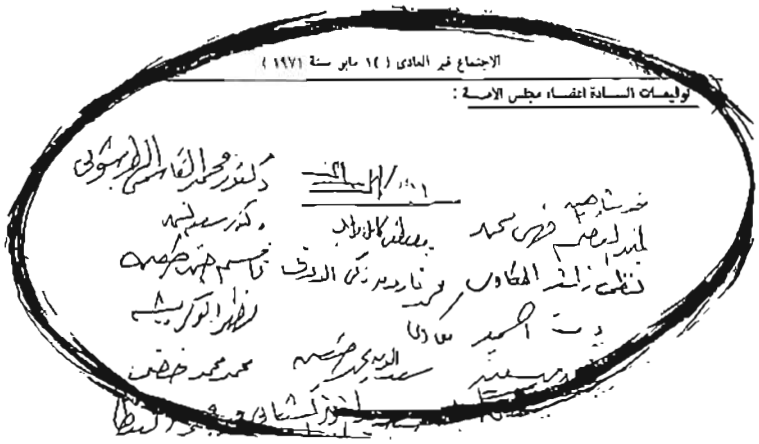

الشريط . وحتى هذه اللحظة لم أكن قد رأيت هذا الضابط .

لقد كان الشريط تسجيلا لمن شعراوى جمعه وزير الداخلية لاعضاء اللجنة المركزية . وفى هذا التسجيل حوار بين اثنين .. أحدهما محكوم عليه بالسجن ٢٥ سنة مؤبد فى قضية مراكز القوى هو فريد عبد الكريم أمين الجيزة والآخر هو محمود السعدنى صحفى من روز اليوسف . وفى هذا التسجيل يحكى فريد عبد الكريم عضو اللجنة المركزية عن جلسة اللجنة المركزية التى كانت صراعا مكشوفا مع مراكز القوى . انتصرت فيه . وفى التسجيل أيضا وصف للطريقة التى تحدث بها على صبرى وكيف إنه كان رائعا .

ومن تسجيلاتهم أيضا لعلى صبرى نحس أن على صبرى أيضا كان يعتقد انى انسان ساذج لا عندى فكرة ولا لدى قدرة على النظر إلى الأمور ولا على حساب أى شىء من حولى . كانى غائب عن الدنيا . وقد أخطأ فى ذلك . هو وكثيرون ولايزالون .

وكان يقول لهم : لا تخافوا منه .. انه لن يستطيع عمل أى شىء .. ولكى يحسسهم وينبرهم : اسرعوا حتى لا يصفيكم واحدا واحدا .

وكان شعراوى يقول : سيادتك طول بالك ..

وسامى شرف يقول : عندنا تكتيك ..

ولكن نبدأ فى الحديث قد استوقفنى واثارنى . ومددت يدى أوقف التسجيل .

لقد سمعت الضحى يقول . ثم .. وعملتم حساب الاذاعة .

قال له : لا .. كانت محاصرة لكيلا يتحدث السادات للشعب .

وأوقفت التسجيل ونظرت إلى سكرتيرى الذى نظر إلى زوجتى . وكانهما يريدان أن يقولا شيئا . ثم أمسكا عنه ..

ان حصار الاذاعة معناه : انقلاب . فماذا جرى ؟ ..

لقد كنت انتظر المعركة .. ان تندفع المعركة وادخلها .. وأنا فى مثل هذه المواقف : عندما أقرر دخول معركة فإننى ادخلها إما غالبا وإما مغلوبا .. ولابد أن أذهب فيها إلى نهايتها .. لا شىء يخيفنى . ولا شىء يشد أزرى ويمنعنى فى صرختى . ويلوثنى جبروت مثل مواقف التحدى . جربت هذا فى شبابى وعرفت أشكالا وألوانا من العذاب والقهر عليها . ولا أزال قادرا على ذلك .. حتى الموت !

اذن أنا كنت أنتظر المعركة . لقد جاءت المعركة إلى بيتى فى نصف الليل .. مسجلة واضحة تماما . فما الذى انتظره الآن ..

سألت سكرتيرى استوضحه بعد أن أوقفت التسجيل عن (حصار الاذاعة) والحركات التى صدرت منه .

فقال لى : يا أفندم السيد حسنين هيكل جاءنى هنا يوم اجتماع اللجنة المركزية وقال لى ان محررا من الأهرام كان موجودا فى مبنى الاتحاد الاشتراكى فى مكتب معين . وسمع أن الاذاعة محاصرة فذهب اليها على قدميه .. ثم عرف ان الاهرام وروى لهيكل ذلك فنزل هيكل بسيارته ورأى الخبر بنفسه وجاء بسرعة وطلب منى أن أنقل اليك ذلك وطلبت اليه ان ينقل اليك ذلك بنفسه .. فرفض . وخاف أن يفعل ذلك وطلب منى أن أنقله اليك . وقلت له : لا أستطيع .

وسألته : ولماذا لم تقل ذلك فى نفس اللحظة ؟

قال : يا أفندم إن جميع الشكاوى التى تجىء إلينا من الشعب بتعليمات الاتحاد الاشتراكى والتنظيم فإننا نؤشر عليها ونعيدها إلى شعراوى جمعة وعبد المحسن أبو النور للتحقيق فأنا لا أعرف ما الذى أفعله ..

وأدرت جهاز التسجيل ونلمست لهم العذر . ثم طلبت الى سكرتيرى أن يعطى الشريط للضابط لكى يعيده إلى مكانه فى وزارة الداخلية ..

وطلبت من سكرتيرى ان يحضر هذا الضابط لكى أرى .

ثم رأيت الضابط طه زكى وقلت : لقد عرفتك .. فلا تخف . وأنت أمين تماما على نفسك .. اذهب وأعد الشريط إلى مكانه ..

الساعة ١٠ صباح ١٢ مايو

ذهبت الى المطار كما كان متفقا .

وقابلت قوات الطيران وقوات الدفاع الجوى . كان معى الى يمينى وزير الحربية محمد فوزى والى يسارى قائد الطيران حسنى مبارك . الذى اخترته من سنة لمنصبه هذا .. والذى هو الآن نائب رئيس الجمهورية ..

ولم يغب عن بالى لحظة . وأنا المحدث إلى قوات الطيران عن الوضع السياسى ..

لقد أحسست أنهم يسبقوننى .. ويحركوا أسرع منى .. أنى يجب أن أفكر بسرعة .. صحيح أننى أرى أوضح منهم .. وأعصابى أهدأ . وتفكيرى مركز . وطريقى أوضح . ولكنى أحسست أنهم فتحوا المعركة . فى الوقت الذى كنت أستعد فيه لذلك ..

وكنت أتحدث إلى القوات الجوية من صميم قلبى . أما عقلى فكان يعمل بسرعة فى مكان آخر ..

وفى اجتماعى معهم قلت عبارتى المشهورة :

والله من يخرج على إرادة الشعب فسأقرمه ..

وكان من المفروض أن أزور مديرية التحرير فى اليوم التالى . ولكنى أحسست بارهاق شديد بعد هاتين الزيارتين .

ولما عدت من المطار كان يوم ١٢ مايو سنة ١٩٧١ . وقد أوصلنى محمد فوزى وزير الحربية كالمعتاد إلى بيتى . وقبل أن أنزل من السيارة قلت لسكرتيرى فوزى عبد الحافظ يا فوزى قل لهم يؤجلوا رحلة مديرية التحرير .. فأنا متعب

وكان مقررا لهذه الزيارة يوم الخميس ١٣ مايو سنة ١٩٧١

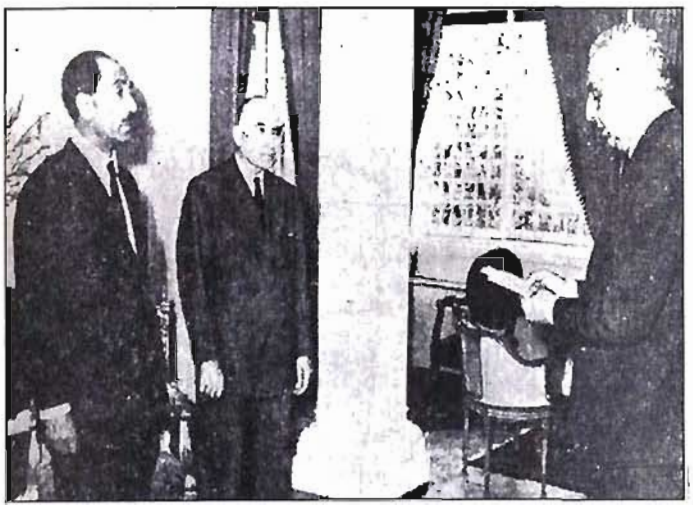

● ممدوح سالم يحلف اليمين امامى وبحضور د. محمود فوزى.

■ ■ وكنت حريصا على أن يسمع محمد فوزى ذلك.. فهو واحد من مراكز القوى..

والذى لم أكن أعرفه هو أنهم قد أعدوا لهذه الزيارة منذ اسابيع..

واعدوا شيئا هاما: اغتيالى!

وحدث ما توقعته. فقد ذهب محمد فوزى الى بعض مراكز القوى واخبرهم أننى أجلت زيارة مديرية التحرير. وانزعجوا لذلك فقد توهموا اننى عرفت ما اعدوه لى هناك. ثم عادوا فرفضوا فكرة أن أدرى بأى شىء. أو أن أعرف كل ما دبروه لى.

كل هذا لم أعرفه إلا من تسجيلاتهم هم!

يوم ١٣ مايو
وهو اليوم الكبير

طلبت من احدى بناتى وهى فى طريقها إلى المدرسة الساعة السابعة صباحا أن تر على محمد حسنين هيكل وأن تخبره أن يجيء فورا. ولم اشأ أن اطلبه بالتليفون، لان التليفونات مراقبة.. ولما حضر بعد ذلك سألته عن حصار الاذاعة وكيف عرف بها من المحرر الذى اعتقله جال عبد الناصر وسجنه هو وزوجته وأفرجت أنا عنه.. فأكد الواقعة.

ومن الضحك أنه، أى محمد حسنين هيكل، كتب مقالا يوم ١٣ مايو ١٩٧١ يفسر هذا الاستدعاء على أنه استنجاد به!!

الساعة ١٢ ظهراً
يوم ١٣ مايو ١٩٧١

■ طلبت من فوزى عبد الحافظ سكرتيرى الخاص: بافوزى. افندم

■ اتصل بممدوح سالم محافظ الاسكندرية واطلب منه أن يركب سيارته ويجيء فورا إلى هنا دون أن يتوقف فى الطريق أو يمر بأحد.

الساعة ٨ مساء
يوم ١٣ مايو ١٩٧١

جاءنى ممدوح سالم.

■ قلت له: بامدوح أنا أثق فيك تماما.

قال: شكرا لحسن امرك

■ قلت: يا ممدوح أنا سأقبل اليوم شعراوى جمعه وقصة شعراوى ومراكز القوى ساروبها لك كاملة.

وزويتها له كلها وبالتفصيل.

■ وقلت له: يا ممدوح أنا واثق منك. واريد أن أعرف منك هل تريد أن تدخل معى معركة ضدهم. اذا كنت ترى ذلك فاقعد معى. مع العلم بانى لا اعرف حتى الآن نتيجة هذه المعركة بوضوح. لا أخفى أى شىء. ولكن انا طبعى اذا دخلت المعركة لا اخرج منها الا عند النهاية: نهايتى أو نهاية خصمى!

وبعد أن شرحت له الصورة كاملة قلت: انا عرضت عليك الوضع. اذا احببت فادخل معى على بركة الله. والا فارجع الى الاسكندرية فى مكانك. وانا اشكرك. وانت آمن تماما. وموضع ثقتى الكاملة

قال: يا افندم. أنا معك تماما. والدنيا كلها معك. ولا تفكر فى أى شىء. انهم بلا قوة. انا اعرفهم جيدا.. انهم ورق وكش!

■ قلت له: تحلف اليمين يامدوح وزيرا للداخلية.

قال: أنا جاهز يا افندم.

■ قلت: الساعة الرابعة تكون جاهز لحلف اليمين امامى وبحضور رئيس الوزراء..

■ وطلبت سامى شرف. وجاءنى. قلت له: يا سامى

- نعم.

■ اذهب لشعراوى جمعه.

وأنا أعرف أن شعراوى جمعه وسامى شرف شىء، واحد وأن شعراوى هو الزعيم وليس على صبرى. فهو الذى يريد أن يستأثر بكل شىء وحده. وأعلم أن على صبرى مكروه من الناس ١٠٠٪

■ ثم قلت لسامى: قل لشعراوى جمعه باعتبارك وزيرا لشئون الرياسة.. يا شعراوى مع السلامة وأكرم لك أن تجعلها استقالة بدلا من أن تكون اقالة.

فانهار سامى شرف. وسامى شرف يعلم جيدا أنه انسان محدود. وأنه لا يستطيع أن يكون فى المقدمة. وإنما لابد أن يعيش فى ظل أحد.. أى أن يكون الرجل الثانى. أو الظل لأى أحد.

وامتقع وجه سامى شرف وتساقط امامى تماما.

■ وقلت: يا سامى

- نعم.

■ الفرار صدر.

واخذ سامى شرف يبكى ويقول: يافندم. الفرار. يا أفندم انتظر..

انه صورة من الغباء.. ولكن اكتشفت أنهم ايضا. وربما مرة واحدة فقط هى التى اثبتوا فيها انهم على درجة من الذكاء.

هذه المرة عندما طلبت من سكرتيرى فوزى عبد الحافظ استدعاء ممدوح سالم. وكانت تليفوناتى مراقبة. فاجتمعوا. ووصلوا فى استنتاجهم إلى احتمال أن يجيء ممدوح سالم وزيرا للداخلية. وكان ذلك الاستنتاج صحيحا. ولكنهم مع ذلك

● .. وحضر الرئيس نميرى والتقطت له هذه الصورة مع الوزارة الجديدة ..

● وانتظر الرئيس السادات جعفر نميرى نصف ساعة حتى صحا من النوم ، فقد جاء فى طائرة عادية ليطمئن على مصر ..

استبعدوا أن اقدر على خلع شعراوى جمعه فقد حالفهم الذكاء فى الاستنتاج ، وخانهم الذكاء عندما شككوا فى قدرتى على الاحاطة بشعراوى أو غيره ..

واحسست أن حاستى لم تخنى .. وأنا أعتمد على حاستى السادسة فى الحكم على الرجال . وتصورت أن سامى شرف هذا قد انهار لانه مرتبط بشعراوى جمعه .. ولكنه من الممكن أن يرتبط بأى انسان آخر .. لانه لا يستطيع أن يقف على رجليه .. فهو كالاطفال التى لم يتم فطامها بعد . وقد صدق حدسى . فلما سألنى : وانا أين أذهب ؟

■ قلت : كما أنت ؛

وبعد ان ضمن مركزه ذهب إلى شعراوى جمعه . واجتمعوا فى القوات المسلحة فى مكتب محمد فوزى وزير الحربية .

وحدث فى هذا الاجتماع شىء واحد اذكره لمحمد فوزى من أجل ذلك . ويوم أن انتصرنا فى معركة اكتوبر ٧٣ كان اول واحد اخرجته وكرمته .. وهو الآن يعمل فى التجارة حرا آمنا على نفسه وأهله وغده ورزقه ..

فى ذلك الاجتماع يوم ١٣ مايو وبعد اقالة شعراوى جمعه زعيمهم كان سعد زايد وزير الاسكان ... وهو واحد من الذين عينهم جمال عبد الناصر فى الوزارة فى مارس سنة ١٩٧٠ مع مركز القوة محمد حسنين هيكل على سبيل إنهام هيكل انه لايعدو أن يكون واحداً كهؤلاء ليس أكثر وكان هذا مما أغضب هيكل كما حكى لى بعد ذلك .

فى هذا الاجتماع طالب سعد زايد بعدد من الدبابات .. ولو عشر دبابات لمواجهة رئيس الجمهورية واثارة الناس عليه ..

■■ وهنا قال له فوزى : لا استطيع ان اقنع جنديا واحدا بان ينقل دبابة واحدة من مواجهة اسرائيل إلى مواجهة الشعب المصرى ... لو اصدرت امرا بذلك فلن يطاوعنى احد .. وكل ما استطيعه هو شىء واحد : اقدم استقالتى !

وقد ذكرت له هذا الموقف فلم يدخل السجن . وانا دخل مستشفى المعادى حتى افرج عنه .. وقد استدعيته بعد ذلك إلى برج العرب . وبحثه على ما فعل ..

الساعة ٨,٣٠ مساء
يوم ١٣ مايو ١٩٧١

كنت جالساً فى بلكونة البيت والدنيا حارة جدا .. استمعت إلى نشرة الأخبار وجاء فيها خبر استقالة شعراوى جمعة وقبولى لها . وهذا هو المهم .

وبعد النشرة جاءنى مركز القوة الأول فى حياة عبد الناصر ، والثانى بعده إلى هذا التاريخ محمد حسنين هيكل فى حالة نفسية فظيعة .

وعرفت فيما بعد انه قبل ان ينزل من بيته أوصى زوجته على اولاده .. ولابد انه جاء إلى بيتى يجتمى فى هذا البيت ..

وبعد نشرة الثامنة والنصف مساء يتصل بى سامى شرف ويبكى ويقول : قرار شعراوى جمعة يا افندم صعب . صعب !.

■ قلت له : ياسامى انت نعبان خد لك اجازة يومين أو ثلاثة ..

الساعة ١٠,٥٧ مساء
يوم ١٣ مايو ١٩٧١

جاءنى اشرف مروان مساعد سامى شرف ومعه خطاب موجه لى باستقالات .

الساعة ١٠,٥٩ مساء
يوم ١٣ مايو ١٩٧١

خطاب استقالات جماعية تضم : نائب رئيس مجلس

◄◄

الشعب، ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا وسامي شرف وزير شئون رياسة الجمهورية.. سعد زايد وزير الاسكان، محمد فائق وزير الاعلام.. ومحمد فوزي وزير الحربية.. ووزيرا آخر واثنين آخرين من الاتحاد الاشتراكي على صلة بالاتحاد السوفيتي.

■ وقلت لأشرف مروان: يا أشرف لماذا لم ترسل هذه الاسماء مبكرا؟..

لكي اقبلها واذيعها فورا..

قال: هم يفضلون ان تذاع في نشرة الساعة الحادية عشرة ومحمد فائق وزير الاعلام ينتظر ذلك في مكتبه ثم ينصرف مباشرة إلى بيته لأن استقالته معهم.

وانتظرت الى ان اذيعت النشرة بعد دقيقة واحدة، وفي صدرها الاستقالات..

■ وطلبت سكرتيرى وقلت له: يذاع في آخر النشرة أنني قد قبلت هذه الاستقالات.

وطلبت ممدوح سالم بعد ان كان قد حلف اليمين. وتسلم عمله. وطلبت منه ان يتحفظ على الذين استقالوا. وان يتحفظ علىّ على صبري من باب الاحتياط ايضا. وطلبت اليه ان يبلغني ذلك بعد خمس دقائق..

الساعة ٥,١١ مساء

اتصل بي ممدوح سالم يقول: يا افندم، تحفظت عليهم جميعا..

أسجل هنا تعليقا مضحكا لتوفيق الحكيم.. سمعته بعد ذلك.. وهو رجل لطيف.. وهو يأخذ الأمور من الجانب الساخر قال: دول جماعة سذج. كان اسهل شيء يقومون به هو الاستيلاء على الاذاعة.. ويعلنون انهم عزلوا السادات.. وعلى ما يرجع السادات.. وبتأكد أنهم لم يفعلوا هذا نكون قد مضت ساعتان أو ثلاث.. وبذلك تتحقق لهم الليلة المطلوبة.. ولكنهم سذج!

■■ والذي يؤكد سذاجتهم انهم جمعوا انفسهم في ورقة واحدة.. في سلة واحدة.. ومن البلاهة ألا أنتهز هذه الفرصة واتخلص منهم جميعا في نشرة اخبارية واحدة...

وهنا لابد ان اذكر حادثة معروفة في الريف.. فهم يقولون ان الثعلب عندما يمتلئ جسمه بالبراغيث فانه يحار في التخلص منها.. فينقلب على الارض.. ويهرش ظهره في الحوائط وفي الاشجار وفي الاحجار.. واحيانا ينزل الماء.. ولكن البراغيث لا تموت.. ولذلك هداه الغريزة الى حيلة ذكية.. وهي ان يظل يجري في الحقول يجمع بقايا القطن.. ثم يضع هذا القطن في فمه.. وينزل الى ماء الترعة بذيله وبطء شديد.. وكلما اقترب الماء من الذيل.. فان البراغيث تصل الى مكان آخر. ولايزال الثعلب ينزل في الماء حتى يتغطى كل جسمه ولا يبقى إلا قطعة القطن في فمه.. فتصعد كل البراغيث والحشرات الاخرى إلى قطعة القطن.. وهنا يلقي بها الثعلب في الماء.. وقد تجمع كل براغيث مراكز القوى في قطعة القطن. ولم يكن صعبا التخلص في الماء بعد ذلك!

ثم نزلت الى صالون البيت.. وكنت قد طلبت استدعاء وزير الخارجية محمود رياض.. ولاحظت أن محمود رياض يدافع عن زميله محمد فوزي.

وشرحت له القصة، فلم يكن يدري عنها شيئا..

ووجدت اللواء احمد اسماعيل ايضا..

■ اهلا يا أحمد

- اهلا يا أفندم

وكان أحمد اسماعيل في المعاش منذ سنتين. لقد فصلوه بصوره شائنة من رياسة الأركان بعد أن عين فيها بعد استشهاد عبد المنعم رياض. وأحمد إسماعيل هو المؤهل رقم ٢ بعد عبد المنعم رياض باعتراف الجميع فصلوه. وأتوا بدلا منه بمحمد صادق لأنه احد رجالهم وكان يقدم تقاريره بانتظام لسامي شرف..

وطلبت من أحمد اسماعيل أن يذهب إلى المخابرات العامة مديرا لها..

الساعة ٧ صباح ١٤ مايو ١٩٧١

ابتطوني لأن الرئيس جعفر نميري في طريقه إلى القاهرة ليطمئن على الوضع في مصر. ولم يأت الرئيس نميري بطائرة خاصة، وانما بطائرة عادية. وقد نام في الطائرة.

وظلت انتظره أمام سلم الطائرة نصف ساعة حتى ايقظوه وارتدى ملابسه.

وكنت مرهقا تماما فقد أويت إلى فراشي متأخرا. وكما هي عادتي لا اتعاطى الحبوب المنومة. ولكني صحوت في هذه الساعة المبكرة.

■■ شكرا للرئيس جعفر نميري جاء يطمئن وملأ قلبه بالطمأنينة على كل شيء..

واتجهنا معا إلى سراي القبة التي نزل بها. وكنت مشغولا بتشكيل الوزارة الجديدة وعندما التقطت لنا الصور بعد حلف اليمين. كان الرئيس نميري واقفا بيننا..

وعند الظهيرة بلغني خبر غريب.

لقد اجتمع مجلس الامة وعزل رئيسه لبيب شقير و١٦ عضوا آخرين. وقد اسعدني هذا الخبر واذهلني. وكان مفاجأة تامة. ولم يكن في حسابي مطلقا. فقد كان من الضروري موافقة ثلثي اعضاء المجلس على هذا القرار واشهد أن مصطفى كامل مراد، الذي هو اليوم زعيم المعارضة، كان وراء هذا الموقف كله.

وكانت سعادتي لاحد لها...

وانتهت أكذوبة «الانبيار الدستوري» الذي اراده مراكز القوى: بان يستقيل هذا العدد من الوزراء.. ويستقيل رئيس مجلس الشعب.. ويستقيل آخرون.. فلا يبقى إلا رئيس الجمهورية وحده..

وظن هؤلاء السذج أن الدنيا قد انتهت.. وأن هذا هو الطوفان الذي ليس بعده شيء.. ولم يكن طوفانا وانما كان زوبعة في فنجان كما وصفتها. ثم تلاشت.. فقد كان الناس متوهمين أن لهم وزنا وحجما أكبر بكثير جدا من حقيقتهم..

وقد تساءل كثير من المؤرخين وآخرهم هذا المؤلف الايطالي الذي اصدر كتابا بعنوان «تحديات السادات» كيف استطعت أن أواجه كل هذه القوى وحدي.. كيف كان هذا التحدي!

وعلى أي اساس كان عندي هذا اليقين بانني سوف اتغلب عليهم في النهاية!

لا أدعي العبقرية الفذة.. ولكن اقول صادقا اني لم أكن وحدي.. فقد كان الله معي. وايماني بالله وبأنه لا يصح إلا الصحيح هو سندي الاكبر.. وأن الشعب باصالته الصادقة هو الذي جعلني استند اليه.. ثم ان عندي حاسة سادسة.. لا أعرف كيف اسميها، هي التي كانت تلهمني حساب تقدير الرجال.. أو كانت توضح لي حقيقة العلاقات المعقدة والصورة المهزوزة لأناس كثيرين في كل مكان..

ثم ان الايام والشارع السياسي الذي امضيت فيه ٢٩ عاما قد علمني الصبر. وعلمني مع الصبر الاحتمال. ومع الايمان أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا..

ثم انني تفاديت ماتصحني به كونفوشيوس ألا أزاحم أحدا.. وألا أدوس الناس والقيم والمبادىء في هذا الزحام..

والحمد لله الذي نصرني واعزني بصبر، وأعزها بي ايضا.

١٥ مايو ١٩٧١

اتصل بي اللواء احمد اسماعيل قائلا: تمام يا افندم

■ ايوه يا أحمد..

- عندي شنطة بها كل التسجيلات.. القصة كاملة.. وكان في نيتهم أن يحرقوها. وجاءت الشنطة التي تفضح قصة ١٥ مايو.. قصة مراكز القوى كلها.. من صنعهم هم.. أما أنا فلم أسجل لأحد.. ولن أسمح لأحد.. اللهم إلا أجهزة الأمن ولاعتبارات من أجل الصالح العام بأمر من القاضي. وهو ما يحدث من وقتها إلى اليوم..

واذكرت مرة اخرى انني كنت على حق عندما طلبت التحفظ على على صبري ايضا.

■■ وفي هذا اليوم قال الشعب كلمته.. أروع كلام..

إنها نفس جموع ٩ و ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧..

جموع متدفقة سعيدة فقد عانت وتعذبت وتزلزلت.. وقد وعدتها بانه لا سلطة لأحد على أحد إلا بالقانون.. لا أرهاب ولا تعذيب ولا إذلال..

وانفتح الطريق إلى أكتوبر ٧٣ وما بعده من انجازات من أجل مصر وكرامة الإنسان في مصر وفي البلاد العربية..

وما تزال للطريق بقية باهرة، إن شاء الله.

■